صاحبة الحسن والجمال[1]

في مطلع القرن العشرين وصلتْ إلى (جزائر البحرين) الدافئة والجميلة، أسرة يهودية مهاجرة من بغداد إلى (مملكة البحرين)، هذه البلدة التي كان يطلق عليها بلد المليون نخلة، وفيها عشرات العيون المائية العذبة في طول البلاد وعرضها، حتى في وسط البحر المالح المحيط بالبحرين، حيث جمع الله النقيضين: الماء المالح والماء العذب في مكان واحد، دون أن يختلطا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٥٣).

كان مع هذه الأسرة بنت في غاية الحسن والجمال، وعلى مستوى عالٍ من الثقافة والعلم، فقد كانت تتحدث بأكثر من لغة، وكانت مطلعة على الثقافة العربية والإسلامية وعلى ثقافة الغرب، ولها اهتمامات واطلاعات على السياسة العالمية، وخاصة المسألة اليهودية الصهيونية.

سكنت هذه الأسرة (اليهودية البغدادية) في عاصمة البحرين (المنامة)، وفي منطقة (الحورة) على وجه التحديد.

---

(١) د. فاروق المناصير.

عمل (الأب) في التجارة، وفي تجارة الذهب على وجه الخصوص، كعادة اليهود في كل زمان ومكان. أما (الأم والبنت) فقد عملتا في بيع الأقمشة المستوردة من شبه القارة الهندية ومن إنجلترا وإيران.

ولكن حدث ما لم يتوقعه (الأب والأم)، فبعد سنوات قليلة من الهجرة إلى البحرين أسلمت البنت التي كان اسمها (مسعودة شاؤول)، وتركت دين آبائها وأجدادها، فقد أسرها سحر (القرآن الكريم) وآياته البينات، وروحه الإنسانية وعظمة تشريعاته، وسمو أخلاقه وصفاء عقيدته، وشغفت حبًّا بسيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم، كما كانت تقول دائمًا عندما يسألها أحد عن سبب إسلامها.

كان إسلام (مسعودة) صدمة عنيفة للأب والأم، فلم يكونا يتوقعان أن ابنتهما سوف تترك دين آبائها وأجدادها اليهود، وهي التي تشربت (اليهودية) منذ نعومة أظفارها، وقد كان عمر (مسعودة شاؤول) سبعة عشر عامًا، حين أشهرت إسلامها.

قد حاول والدها ثنيها عن دينها الجديد، وإرجاعها إلى (اليهودية)، ولكنها رفضت، وأصرت على (الإسلام)، ولم ينفع معها الحوار والنقاش والمجادلة، فاستخدم أساليب

الترهيب والتعذيب، من ضرب بالعصي والكي بالنيران والحرمان من الطعام والشراب، وحُبِست في البيت أسابيع طويلة، وهي صامدة وصابرة.

ثم جاءت مرحلة أخرى من الضغوط عليها، حيث تم الاستعانة بالحاكم العسكري البريطاني في (البحرين) (تشالز بلجريف) لإقناعها بالارتداد عن الإسلام.

حدثها (بلجريف) كثيرًا عن ضرورة رجوعها إلى اليهودية، وكان مما قال لها: كيف تتركين دينك ودين آبائك، وتدخلين دين هؤلاء البدو المتخلفين الهمج؟ هل مَسّكِ الجنون يا مسعودة؟ أم أنها حالة مؤقتة، وسوف ترجعين إلى صوابك؟

أجابته: لقد آمنت بالإسلام، واقتنعت بالقرآن، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، ولن أرجع عن ديني الجديد، ولو تم تقطيعي إلى أشلاء وأجزاء.

حينها قال المستشار (وهذه هي التسمية الرسمية له): لا فائدة منها، فقد سحرها المسلمون في البحرين.

والغريب أن مسعودة لم يَدْعُها أحد إلى الإسلام، ولكنها قرأت القرآن وحدها، وتأثرت به غاية التأثر، فكان أن أعلنت إسلامها. كان ذلك أعجوبة من أعاجيب هذا الكتاب العزيز.

انتشر خبر إسلام (مسعودة شاؤول) في البحرين كلها، وحاول بعض الناس زيارتها في بيتها، ولكن والدها منع زوارها من الرجال والنساء، ووصل الخبر إلى حاكم البحرين آنذاك (الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة)، الذي استدعى والدها؛ لمقابلته في قصر الحكم، وهناك طلب منه أن يتنازل عن ابنته (مسعودة)، ليضمها إلى بناته وحريمه معززة مكرمة، وقد وافق والد مسعودة في نهاية المطاف.

وهكذا انتقلت (مسعودة) من بيت والدها (شاؤول) إلى قصر حاكم البحرين من أسرة آل خليفة، الذي عاشت فيه سنوات عدة، قبل أن يتقدم لها رجل من (عرب الهولة) فتزوجها، ونقلها من جديد إلى منطقة الحورة، التي خرجت منها بعد إسلامها.

ولقد رأيت الحاجة (مسعودة) وأنا طفل صغير في النصف الأول من سبعينيات القرن الماضي، وكنت أنا وأصحابي من الأطفال نذهب إلى بيتها؛ للحصول على الحلوى والشيكولاتة وبعض النقود التي تعطينا إياها، وكانت حريصة، وهي تعطينا هذه الحلوى على أن تسألنا عن الصلاة في المسجد وعن حفظنا القرآن الكريم، فإذا رأت منا تقصيرًا في أمر الصلاة امتنعت عن إعطائنا هذه الحلوى وتلك النقود، بحيث نضطر في بعض الأحيان إلى

الكـذب عليها، فتقول: سوف أجعـل زوجي (محمدًا) يراقب حضوركم إلى المسجد للصلاة.

لقـد كانت دائمًا تحثنـا على تأدية الصـلاة جماعة مع المسلمـين في المسجد، وما هـي إلا سنوات حتـى توفي زوجها الصالـح (محمـد علـي أمـين)، وتـرك لهـا ثـروة كبيرة، خصصت جزءًا منها لتحفيظ القرآن الكريم، والجزء الآخر للأيتام.

ذكرت لي جدتي خبرًا عجيبًا عن (مسعودة) يوم إعلان قيـام إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨، حيـث زارتها (مسعودة) وهي تبكي، وتولول، فقالت جدتي: لماذا تبكين يا (مسعودة)؟ كان يُفترض فيـك أن تفرحي لقيـام كيان لليهـود في أرض فلسطين!

فقالت (مسعودة): يا أختي، أنت لا تعلمين ماذا سيفعله اليهود بكم وبأهل فلسطين؟

قالت جدتي: وماذا سيفعلون؟

قالت مسعودة: إنها مذبحة.

قالت جدتي: عن أي مذبحة تتحدثين؟

قالـت (مسعودة): هؤلاء اليهود أنا أعرفهم جيدًا، إنهم ينوون أن يذبحوكم في فلسطين، وسوف ترين يا أختي، صدق حديثي لك. وصدقت مسعودة، فبعد أسابيع قليلة قام اليهود بمذبحـة دير ياسين الرهيبـة، واستمرت المذابـح إلى يومنا هذا.

ولكـن (مسعودة) أردفـت، قائلة: بعدهـا بسنين سوف تكـون المذبحة الكـبرى لليهود على أيـدي المسلمين، ترى هل سأعيش حتـى أرى هذه المذبحـة الكبرى لليهـود على أرض فلسطين، أرجو ذلك؟!

وامتد العمر بمسعودة إلى أواسط التسعينيات من القرن الماضي، وكانت تكثر من الصلاة والصيام والصدقة وقراءة القرآن الكـريم، وكأنها كانـت تشعر بقرب انقضـاء أجلها، وأنـا أشهد للحاجة (مسعـودة): أنها كانت ملتزمة بحجابها الشرعـي من أول يوم أسلمت فيه، وإلى آخر يوم من حياتها، فقـد كان لباسهـا الشرعي عبادة، ولم يكن عـادة، ولم أرَها قـط منذ طفولتي دون لباسها الشرعي، الذي يسبغ كل بدنها من مفرق رأسها وإلى أخمص قدميها.

قضت الحاجة (مسعودة) أيامها الأخيرة في دار المسنين والعجـزة، ووافاها الأجل في تلك الـدار، وقبل وفاتها أوصت بثلاث وصايا:

الأولى، أذكركم بالمحافظة على تطبيق هذا القرآن؛ فهو شرفٌ لكم ولأبنائكم.

الثانية، الله، الله في أبنائكم ربّوهم على الدين.

الثالثة: أنا مسلمة، ولست يهودية، فأرجو أن تدفنوني في مقبرة المسلمين. ثم شهدت الشهادتين، وفارقت الحياة، عليها رحمة الله.

شعر:

فيا إسلامُ فضلُكَ لا يُجارَى

فلا عسرٌ بتشريعٍ وحَدِّ

وذا القرآنُ معجزةٌ تساقَتْ

وما أحلاهُ من بُرْءٍ وشَهْدِ

له شهِدَ العدوُّ بكلِّ فضلٍ

بلا خللٍ ولا زيغٍ وإِدِّ

obeikandl.com